تعليقات ومناقشات

نشرت المجلة في عددها السابق في باب تعليقات ومناقشات بحثاً للأستاذ صبحي البصام موسوماً بـ (تقعيد قاعدة نحوية إضافة الجهات الأربع)، وإتماماً للفائدة تنشر المجلة ثلاثة تعقيبات على البحث المشار إليه وصلتها من الأستاذ حمد الجاسر، والأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي، والدكتور جعفر عبابنة.

"إضافة الجهات الأربع"

تعليق الأستاذ حمد الجاسر

رئيس تحرير مجلة "العرب"

المملكة العربية السعودية

أُمتّعتُ بقراءة بحث أستاذنا الجليل صبحي البصّام (تقعيد قاعدة نحوية، إضافة الجهات الأربع) الذي نشرته مجلة مجمعنا الكريم[1].

وقد استوقفني منه استشهاده – رعاه الله – على (شرقي) بقول زهير بن أبي سُلْمى:

ثم استمرُّوا وقالوا: إنّ مشربكم ماء بشرقيّ سلْمَى (فَيْدْ) أو (فَدَكُ)

مشيراً إلى "ديوان الشاعر"، وكنت أحفظ البيت بلفظ: (فَيْدُ) أو (رَكَك)، ولا أزال أذكر ما أورده بعض اللغويين في اسم (رَكَك) ومنه أدركت أنه الموضع المعروف باسم (رَكٌ) فكّه الشاعر للضرورة، وكنت قد عُنيت بتحديد الموضعين – بل المواضع الثلاثة (فَيْد) و(رَكَك) و(فَدَك) في القسم الذي خصصته لتحديد المواضع الواقعة في شمال المملكة من "المعجم الجغرافي للبلاد العربية

السعودية" – وصدر هذا القسم في ثلاثة أجزاء، إلا أن الرواية التي أوردها أستاذنا البصام – على غرابتها – دفعتني لمراجعة الديوان مرة أخيرة بعد مرات كثيرة، لكثرة المواضع التي تعرضت للحديث عنها في شعر زهير.

والأستاذ – أمتعه الله بالصحة والعافية – لم يشر إلى أية طبعة من طبعات الديوان المتعددة، ولدي طبعتان منها، رجعت إليهما، فلم أجد فيهما سوى ما كنت أحفظ، فقلت: ليس غريباً من الأستاذ الجليل – وقد أصبحنا سيّانِ ينطبق علينا وصفه البليغ: (ثم إني وجدتني قد أخذت السنُّ مني، وتقعقع شنّي، وانحنت صعْدتي)[2]، وأضيف: (وعبث النسيان بما تختزنه الذاكرة، بحيث اختلط، وارتعشت اليد، فعندما تكتب حسناً يبدو خشناً)، ولا ينبئك مثل خبير، فالله المستعان.

ولعل من خير ما أعبر به عن تقديري للأستاذ مذاكرة القراء في هذه الأسماء الثلاثة، لتكررها في الأخبار والأشعار، مذاكرة استفادة واستزادة، وله الفضل في ذلك حيث فتح المجال، وأدع التوسع في تحديدها وما ورد من النصوص القديمة عنها لمن أراد هذا بالرجوع لما أوردته في ذلك الكتاب.

١ – **ركك:** يبدو أن هذا الاسم لا يخص موضعاً واحداً، فقد ورد في شعر منسوب لأبي دهبل الجمحي وللعرجي، ولعمر بن أبي ربيعة، والثلاثة حجازيون، ونص ما ورد في ديوان الأول[3]:

أجَزْنَ الماءَ من (رَكَكٍ) وضَوْءُ الفَجْرِ قدْ وضَحَا
فَقُلْنَ: مقيلُنَا (قَرْنٌ) نُبَاكِرُ ماءَهُ صبحَا

فـ(ركك) هذا في الحجاز لاقترانه بذكر (قَرْن) الوادي المعروف الواقع بين (مكة) و(الطائف)، ولا صلة له بـ(فيد) البلدة المعروفة في (نجد)، شرقي

جبل (سلْمى)، الوارد في شعر زهير بن أبي سُلْمَى المزني، ومُزَينة من أهل الحجاز، ولكن زهيراً عاش في كنف أخواله بني عبد الله بن غطفان في (نجد)، وكذا آله، ولهذا قال مزرد بن ضرار الغطفاني يهجو كعب بن زهير:

وأنت امرؤٌ من أهل (قُدْسٍ) و(آرةٍ) أحلّتْكَ عبدُ الله أكنافَ (مُنْهلِ)[٤]

(قدس) و(آرة) جبلان مشهوران بين (المدينة) و (مكة)، وبلاد مزينة في أكنافهما، و(مُنْهل) الوارد في البيت واد من روافد وادي (الرُّمة) الشمالية، يُعْرف الآن باسم (المحْلاني) يقع بقرب (خط الطول: ١٢/ ٤٢° وبين خطي العرض: ٤٥/ ٢٥° و ١٥/ ٢٦°) في شمال (نجد).

و(ركَك) الواقع شرقي (سلْمى) يعرف الآن باسم (ركّ) وهو واد من أشهر أودية جبل (سلمى) الشرقية، يتجه صوب الشمال، حتى يلتقي بوادي (العدْوة) مجتمع أودية (سلْمى) الغربية، ثم تفيض سيولها في روضة (الرّشاوية) روضة تبعد عن الطرف الشرقي من (سلمى) بنحو عشرين كيلاً[٥]، وفي وادي (ركّ) قرية بهذا الاسم، ذات نخل، وآبارها عذبة الماء، تبعد عن مدينة (حايل) قاعدة المنطقة نحو سبعين كيلاً، في الجنوب الشرقي، من هذه المدينة، وأكتفي بإيراد شواهد موجزة على هذا مما ورد من كلام المتقدمين:

قال الهجريُّ: وسألت الأشجعيّ عن (ركك) فقال: ماءة في شعب بـ(سلمى) بين نبهان[٦]، شرقياً.

وقال نصر[٧]: (ركّ) اسم ماء، وفي الشعر (ركك) وفي "معجم البلدان": (ركك) محلة من محالّ (سلْمى)، قال الأصمعي: قلت لأعرابي: أين (ركك)؟ قال: لا أعرفه، ولكن ها هنا ماء يقال له (ركّ) فاحتاج، ففكّ تضعيفه زهير:

ثم استمروا فقالوا: إن موعدكم ماءٌ بشرقي (سلمى) (فيْدٌ)أو (ركَكُ)

إذنْ (رك) المعروف الآن شرقي (سلمى) هو (ركك) الوارد في شعر زهير.

ويفهم من جوّ قصيدته أنه وصف ركباً متجهاً من شرق (الدهناء) – حيث ذكر (كثبان أسنمة) و (القسوميات) وهما معروفان هناك – متجهاً غرباً، حيث تواعدوا شرقي (سلمى).

٢ – فيْدُ: بلدة لا تزال معروفة شرقي (سلْمَى) أيضاً، هذه بجانبها الشرقي الجنوبي، و(ركّ) بجانبها الشرقي الشمالي، (فيد) بقرب (خط الطول: ٣٠/٤٢° وخط العرض: ١٠/٢٧°).

و(رك) بقرب (خط الطول: ٢٢/٤١° وخط العرض: ١٧/٢٧°).

٣ – فدكُ: اسم (فدك) ليس معروفاً الآن، مع شهرته العظيمة قبل الإسلام، ثم في صدره حين غزا الرسول – صلى الله عليه وسلم – (خيبر) فاستولى على البلاد، وصالح أهلها من اليهود على البقاء في فلاحتها، على أن للمسلمين الحق في إجلائهم منها، فتم هذا في عهد الخليفة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – بعد ما أخلُّوا بما اشترط عليهم في المصالحة.

وأما (فدك) فالاسم إذ ذاك يطلق على جانب من منطقة (خيبر) الخصبة الواسعة، فبعث الرسول – صلى الله عليه وسلم – علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – إلى (فدك)، فاستسلم أهلها من دون قتال، فكانت من البلاد التي أفاءها الله على رسوله، مما لم يُوْجَفْ عليها بخيل، ولا ركاب، فكانت خاصة به، يصرف ما يجبى من غلتها على ما يراه من نفقاته ومصالح المسلمين حيث صالح أهلها على ما صالح عليه أهل (خيبر)، ولكنها لم تقسم غنائم على الغزاة– كما حدث في غنائم خيبر – ولما توفي الرسول – عليه الصلاة والسلام – طالبت

ابنته فاطمة وزوجها علي، الخليفة أبا بكر الصديق- رضي الله عنهم - بأن يدع لهما (فدك) إرثاً، فأبى وقال: إنه ثبت قوله صلى الله عليه وسلم: "نحن معاشر الأنبياء لا نورث، ما تركناه فهو صدقة". فكان هذا مما أحدث تأثراً استمر طيلة عهود الخلفاء بينهم وبين أقارب النبي - صلى الله عليه وسلم - من آل علي وغيرهم، حتى عهد عمر بن عبد العزيز، فردّها عليهم، وبعد وفاته عادت على ما كانت عليه حتى عهد المأمون الخليفة العباسي المعروف، فردها إلى آل أبي طالب، فقال في ذلك دعبل الخزاعي الشاعر:

أصبح وجه الزمانِ قد ضحكا بِـردِّ مأمونِ هاشِمٍ فَدَكَا

ولن أسترسل في الحديث عن (فدك) فقد فصلته في كتابي "في شمال غرب الجزيرة"[٨].

وعمّت الجزيرة العربية منذ انتقال قاعدة الخلافة منها إلى (دمشق) ثم (بغداد) وانصراف الخلفاء عنها - عمتها غمرة من الجهل، كان من أثرها أن عاد أكثر سكانها من أبناء البادية إلى عهود الفوضَى، فعمّ العِداء بين القبائل وثارت الفتن، واضطرب الأمن، فلم يستطع المعنيون باللغة أو تحديد المواضع التاريخية التجول في البلاد، واعترى كثير من المسميات من التغيير، بسبب تنقل القبائل، مِمّا أخفى الكثير منها، ومن ذلك اسم (فدك) وهو اسم غريب عند العامة، الذين كثيراً ما يغيرون الأسماء الغريبة بأسماء مألوفة معروفة، واسم (فدك) عرف منذ عهد سحيق في القدم، فقد ذكر علماء الآثار أنه من المدن التي احتلها الملك البابلي (نيوبند) في القرن السادس قبل الميلاد (٥٥٦-٥٣٩ قبل الميلاد)[٩].

إذَنْ لا غرابة بأن يقول عالم هو الفيروز ابادي محمد بن يعقوب (٧٢٩/٨١٧هـ) حين اتجه لتحديد الأمكنة التي لها صلة بالمدينة المنورة في كتابه "المغانم المطابة في معالم طابة" ما نصه[١٠]: (وأغرب من ذلك أني سألت

جماعات من أشراف المدينة الأمراء بها، ومن الفقهاء والسوقة عن (فدك) ومكانها فكلهم عن بَوَاءٍ واحدٍ: أجابوا بأنه لا يُعرف في بلادنا موضع يدعى فدك. وهذه القرية لم تبرح في أيدي الأشراف والخلفاء يتداولونها، ناس عن ناس إلى أواخر الدولة العباسية، فكيف بجبل صغير واقع في طرف أحد، لا يتعلق به كبير أمر؟!).

لقد كان من الميسور لكل باحث يتمكن من دراسة النصوص الواردة عن المتقدمين بمحاولة تطبيقها على مشاهداته في منطقة (خيبر) في عهد استتباب الأمن في هذه البلاد أن يصل إلى ما وصلت إليه من معرفة موقع (فدك) الذي غُيِّرَ اسمه إلى (الحائط) كما غُيِّرَ اسم موضع آخر بقربه هو (يديع) بمثناة تحتية بعدها دال مهملة فمثناة تحتية، فعين مهملة إلى (الحُوَيْط).

إنّ (فدك) الذي ثبت لدي ثبوتاً لا يتطرق الشك إليه هو المعروف الآن باسم (الحائط) وهذا الاسم ينطبق على وادٍ كثير النخل، يتبعه عدد من القرى في شرق منطقة (خيبر) تزيد على الثلاثين، ومن أكبر هذه القرى (يَدِيْع) المعروفة الآن باسم (الحويط)، وكل المنطقة ملحقة بإمارة (حايل)، بينما بقية ما في واحة (خيبر) من القرى تابع لإمارة (المدينة المنورة)، ويقع (الحائط) هذا بقرب (خط الطول ٢٩/ ٤٠° وخط العرض: ٥٩/ ٢٥°) ويقع في الجنوب الغربي بالنسبة لمدينة (حايل) القاعدة، على نحو مئتين وخمسين كيلاً، بينما يقع جبل (سَلْمَى) بالنسبة لهذه المدينة جنوباً بنحو ستين كيلاً.

و(فيد) و(ركّ) يقعان في سفحها الشرقي، ويقع جبل (سلمى) هذا بقرب (خط الطول: ٠٩/ ٤٢° وخط العرض: ٠٧/ ٢٧°).

مما تقدم يتضح أن صواب بيت زهير:

..... ماء بشرقي (سلمى) (فيـــد) أو (ركك)

ولا تفوت الإشارة إلى أن الشاعر زهيراً قال هذا القصيـــدة حيـن أغـار الحارث بن ورقاء الصَيْداوي من بني أسد على بني عبد الله بن غطفان، فاستاق إبل زهير، ولهذا ورد في القصيدة:

لنن حَلَلْتَ بِجَوٍّ في بني أســـــدٍ في دين عمرو وحالتْ بيننا فَدَكُ
ليـــــأتينّك مِنّـــي منطـــقٌ قَذِعٌ بســـاقٍ كما دنّس القبطيةَ الودكُ

و(خَوٍّ) ورد في كثير من المؤلفات مصحفاً (جو) وصوابه بالخاء المعجمة وهو واد في ديار بني أسد فيه منهل يدعى الخوة.

وخو هذا الذي في بلاد بني أسد على ما يتضح من تحديد المتقدميـــن لـــه ينطبق على أعلى وادي المخلاني (أي أعلى وادي مُبْهل) المتقدم ذكره، أي بقرب (خطي الطول: ١٠/٤٢° و١٥/٤٢° وخطي العرض: ١٠/٢٦° و٣٠/٢٦°).

وعمرو المذكور هو الملك ابن هند، ويبدو أن نفوذه كان ممتداً إلى منطقة (خيبر) وفيها (فدك).

الحواشي

(١) "مجلة مجمع اللغة العربية الأردني" ع٥٥ س٢٢ ذو القعدة - ربيع الآخر ١٤١٩ ص٢٣٥.

(٢) المصدر السابق ص٢٤٥.

(٣) ديوانه ص٧٤.

(٤) "طبقات فحول الشعراء" ٨٩.

(٥) قسم شمال المملكة من "المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية" ٢/٥٩٤.

(٦) "التعليقات والنوادر" ٣/١٤٧٨ و(نبهان) جبل سلمى كان (لبني نبهان) من طيء.

(٧) "الأمكنة والمياه والجبال والآثار" باب مفردات حرف الراء، والكتاب لا يزال مخطوطاً، وقد أوشكت على الانتهاء من تحقيقه.

(٨) من ص٢٨٥ إلى ٣١٠ طبع دار اليمامة.

(٩) الدكتور عبد الرحمن الأنصاري "لمحات عن بعض المدن في شمال غرب الجزيرة" مجلة "الدارة" ١/٨٢.

(١٠) ص٨٢ من القسم الجغرافي الذي نشرته منه.

"إضافة الجهات الأربع"

تعليق د. إبراهيم السامرائي
عضو مجمع اللغة العربية الأردني

إن بيت زفر بن الحارث رُبَّما عرض له من الضـــرورة التـــي تضطـــر الشاعر وإن كان جاهلياً أو متقدّماً أن تفرض وجودها فجاء الجنوب غير منسوب من أجل الوزن.

وقد أقول مثل هذا في بيت الشريف المرتضى.

إن الضرورة قد حصلت أو فرضت حكمها في بيت امرئ القيس:

فاليوم أشربْ غير مُستحقبٍ إثماً من الله ولا واغِلِ

لقد جاء الفعل "أشربْ" مجزوماً وليس من جازم، وكأن المبرّد قد اســـتبعد أن يكون هذا فجاء برواية تفرّد بها وهي: "فاليوم ألهو غير مُستَحقبٍ".

وفات المبرّد أن هذا قد عرض للنابغة في قصيدة "المتجرّدة" الدالية، فـــي قوله:

وبذاك خبّرَنا الغرابُ الأسودِ

والوجه: الأسودُ.

ومثل هذا ما كان في مطوّلة زهير:

كأحمر عادٍ...

وهو يُريد "أحمر ثمود" وهو قُدار بن سالف عاقر ناقة النبي صالح – عليه السلام –، وقد ذهب زهير إلى "عاد" لأن "عاداً" لا ترد إلاّ مع ثمود كثيراً كما في لغة التنزيل العزيز.

لقد أشار إلى هذه الضرورة الأصمعي، وهو الخبير بالأمم القديمة. غير أن الذين كانوا يتعقّبون الأصمعي قد ذهبوا إلى عدم وجود الضرورة لأن "عاداً" في بيت زهير هي "عاد الآخرة" أي ثمود.

أقول: لقد أشارت الآية إلى "عادٍ الأولى" وهم قوم هود، ولم يكن من إشارة في لغة التنزيل إلى "عادٍ الآخرة". وكأن هذا الذي سعى إلى هذا من جملة الذين كرهوا الأصمعي لمكانته لدى الخلفاء العباسيين، وانحرافه عن العلويين.

أقول: وقد أتى في الضرورة شيء يشبه هذا، فهذا الحطيئة قد كان لـه "داود بن سلاّم" في عجز بيت وهو يريد النبي داود بن سليمان – عليه السلام –. هذا هو حكم القافية.

ولنا في خبر عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي، وهو من أوائل النحويين، مع الفرزدق القصة المشهورة. انظر "نزهة الألباء" للأنباري (ترجمة الحضرمي).

وأعود إلى المعاصرين عامّة الذين لم يفطنوا إلى أسلوب المتقدمين في كَسْع الجهات الأربع بالياء جهلاً منهم بهذه القاعدة.

ولا أعزو بيت الجواهري الذي جاء فيه الشمال والجنوب من غير نسبة إلى ما يقتضيه الوزن، وذلك لأن الشاعر لا يعرف هذا، وهو إن عرفه فلا يجد فيما قاله ضيراً.

وأما توقّف الباحث فيما كان لي في استعمالي "بلدان الشمال الإفريقي" فأقول: إن هذا بعيد عن القاعدة التي توصّل إليها، وذلك لأن "الشمال"، وهي الجهة، قد وُصف بصفةٍ نُسبت وفيها ياء النسب، وهذه النسبة تغني عن نسبة المضاف وهو "الشمال". ولو قلنا: "الشماليّ الإفريقيّ" كما أراد الباحث لكان لنا عبارة ثقيلة، والعربية تهرب من مواطن الثقل.

لقد عرفنا هذا في بعض تراجم الرجال، فهذا أبو الحسن الدار قُطْنيّ من كبار رجال الحديث في القرن الرابع كانت نسبته إلى "دار القُطْن" محلة في الجانب الغربيّ من بغداد والنسبة بالياء إلى المضاف إليه وهو "قُطن"، وقد خلا المضاف وهو "دار" من الياء.

أقول في تكملة صاحبي المجتهد الألمعي ما يأتي:

أقول: يضاف الشمال والجنوب إلى الشرق والغرب، ولا سيما في عصرنا في مادة الجغرافية وغيرها فيقال: الشمال الشرقي والجنوب الشرقي، والشمال الغربي والجنوب الغربيّ.

وليس لنا أن ننقل العبارة فنكْسع الشمال والجنوب بالياء لما في ذلك من ثِقَل هرب منه المعربون، الفصحاء الأوائل.

أقول: لم تعرض قاعدة صاحبي إلى هذا الأمر الذي نعرفه في عربيتنا المعاصرة، وليس في شواهده شيء منه.

وأختم هذا التعقيب الموجز وأُحيّي فيه صاحبي المغترب ردّ الله سبحانه عنا جميعاً هذه الغربة.

"إضافة الجهات الأربع"

تعليق: د. جعفر عبابنة
الجامعة الأردنية

فيتناول هذا البحث مسألة نحوية تركيبية هي لحوق ياء النسبة للجهات الأربع: الشرق والغرب والشمال والجنوب، إذا أُضيفت. وهذه المسألة مدروسة في كتب النحاة في باب المفعول فيه (الظرف). فأسماء الجهات المذكورة هي ظروف إذا لم تلحقها ياء النسبة، وهي نائبة عن الظرف إذا لحقتها ياء النسبة. وهي عندهم صفات حُذِفَ موصوفُها؛ فإذا قُلْتَ: جلستُ شرقيَّ الدار، فأصله: جلستُ مكاناً شرقياً من الدار، ثم حُذِفَ الموصوف، وحُذِفَ حرف الجرّ مِنْ وأضيفت الصفة إلى مدْخولِهِ.

والبحث تنقصه القوة التفسيرية؛ فهو لا يُفَسِّرُ لِمَ تلحقُ الياءُ أسماءَ الجهات (شمال وشرق وغرب وجنوب) عند إضافتها، ولا تلحق أسماء الجهات الأخرى مثل: أمام وتحت وخلف. وفي نظري أن السبب يعود إلى أن أسماء الجهات الأربع تلك ظروف متصرفة، فيأتي منها الوصف بإضافة ياء النسبة إليها، وسائر أسماء الجهات غير متصرفة عموماً لأنها لا تخرج عن الظرفية إلا قليلاً. فمثلاً: خلف وأمام غير متصرفين عموماً، بدليل لزومهما النصبَ على الظرفية في أكثر المواضع. ويتمثل تصرُّفُهما المحدود في مسألتين فقط. الأولى هي دخول حرف الجرّ مِنْ عليهما. والثانية ورودهما بدَلَيْن في بيت يتيم من الشعر هو:

فَغَدتْ كِلا الفَرْجَيْنِ تَحْسَبُ أنَّهُ مَوْلَى المَخافَةِ خَلْفُها وأمامُها

وقد ورد في البحث قول صاحبه (في ص٢٣٩): "أما شَمال بمعنى اليد اليسرى فلا تلحقها ياء النسب المشدّدة (كذا) عند إضافتها لأنها ليست من الجهات

الأربع". والواقع أن شمال هذه هي بكسر الشين لا بفتحها، وليست ممّا هو بصدده، وليس لها صلة بأسماء الجهات الأربع كما أقرّ به هو نفسه.

ولا يخلو هذا البحث من فائدة، على الرغم من أن القاعدة التي يأتي بها قد تكون خطأ، وأن إضافة اسم الجهة المنسوب قد تكون من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، فيكون معنى: "شماليّ العراق" هو الجزء الشماليّ من العراق، ومعنى: "شمال العراق" هو الجهة التي تقع خارج العراق من الشمال. وقد تكون إضافة أسماء الجهات المنسوبة للدلالة على الملاصقة. فإذا قلنا: تقع هذه القريةُ غربيَّ الموصول، فهي قريبة منها إلى الغرب. وإذا قلنا: غَرْبَ الموصول، فهي بعيدة عنها إلى الغرب.

سلوة الحزين في موت البنين

تأليف : ابن أبي حجلة التلمساني

تحقيق: الدكتور مخيمر صالح

عرض ونقد: عبدالمعين الملوحي

دمشق

تمهيد:

في عام ١٩٧٠ فُجعت بابنتي (ورود) فرثيتها ونشرت رثاءها في ديواني (قصيدتان: بهيرة وورود) ومنذ ذلك الحين شغلني أمران: أولهما البحث عن القصائد التي رثى بها الآباء المفجوعون أو الأمهات الثاكلات أبناءهم وبناتهم، وثانيهما جمع الكتب التي تتعلق بهذا الموضوع الإنساني.

وقد استطعت في المجال الأول جمع عدد غير قليل من القصائد وصنفتها قسمين:

١- المراثي من العصر الجاهلي حتى القرن الثامن الهجري.

٢- المراثي من القرن التاسع الهجري حتى اليوم.

وأصدرت دار الكنوز الأدبية في بيروت القسم الأول من الكتاب تحت عنوان (مراثي الآباء والأمهات للبنين والبنات).

وأنا أعكف الآن على إعداد القسم الثاني من الكتاب تمهيداً لنشره عما قريب.

أما الموضوع الثاني الذي شغلني وهو جمع الكتب التي تتعلق بمراثي الأباء والأمهات، فقد عثرت على كتابين مطبوعين:

١- برد الأكباد عند فقد الأولاد لابن ناصر الدين الدمشقي، وقد طبع في القاهرة، من دون ذكر تاريخ الطبع.

٢- سلوة الحزين في موت البنين لابن أبي حجلة التلمساني وقد طبع في عمان من دون ذكر لتاريخ الطبع كذلك.

الكتاب الأول: برد الأكباد عند فقد الأولاد

من تأليف محمد بن عبدالله المعروف بابن ناصر الدين الدمشقي (المتوفى سنة ٨٤٢هـ) وقدم له عبدالقادر بن شيبة الحمد (من علماء الأزهر) ويقع الكتاب في ٤٨ صفحة، وقام مقدم الكتاب - ويلاحظ أنه لم يقل عن نفسه إنه محقق الكتاب - بوضع ترجمة للمؤلف وقال فيها إنه ولد سنة ٧٧٧هـ بدمشق وتوفي في سنة ٨٤٢هـ. ويضع المقدم قائمة بالكتب التي ألفها المؤلف وبلغت ٣٦ كتاباً ثم قال وله عدة مصنفات أخر.

وجاء في التعريف بالكتاب ما يأتي:

(... فإنا لا نعلم كتاباً ألف فيه (في المواساة بفقد الأبناء) غير كتابين اثنين باسمين متشابهين، هما كتاب (تبريد حرارة الأكباد في الصبر على فقد الأولاد) للشيخ الكمال أبي حفص عمر بن أحمد بن العدية الحلبي المتوفى سنة ٦٦٠هـ، وثاني الكتابين هو (برد الأكباد عند فقد الأولاد) وهو هذا...). ويضيف التعريف:

(.... ولعل الكتاب الثاني مستفاد من الأول ومختصر منه، فقد ذكر صاحب كشف الظنون أنه مختصر).

ولا أعرف شيئاً عن وجود الكتاب الأول.

أما الكتاب الثاني الذي يعالج هذا الموضوع فهو كتاب (سلوة الحزين في موت البنين) لابن أبي حجلة التلمساني (٧٢٥- ٧٧٦هـ) وقد حققه الدكتور مخيمر صالح من جامعة اليرموك. وهو موضوع الحديث.

سرني انضمام الدكتور إلى المهتمين بتراثنا العربي المجيد، ومحققيه- على قلتهم، وعكفت على قراءة الكتاب فوجدت المحقق الكريم قد بذل جهداً غير قليل في التحقيق وقدم لنا نصاً مقبولاً للكتاب، وبذل جهداً مشكوراً في تتبع الكتب التي تخصصت في موضوع المراثي وقال:

ومن هذه الكتب:

١. الفضل المبين في الصبر عند فقد الأولاد والبنين للصالحي (٧٨٥هـ).
٢. تسلية أهل المصائب للصالحي أيضاً.
٣. ارتياح الأكباد بأرباح فقد الأولاد، للسخاوي (٩٠٣هـ).
٤. تسلية الفؤاد عن الأولاد مجهول المؤلف.
٥. المقامة اللازوردية في موت الذرية للسيوطي (٩١١هـ).
٦. فضل الجلد عند فقد الولد للسيوطي أيضاً.

وإذا أضفنا إليها الكتاب موضوع البحث

٧. سلوة الحزين في موت البنين للتلمساني (٧٧٦) والكتابين المذكورين من قبل:
٨. تبريد حرارة الأكباد في الصبر على فقد الأولاد لإبن عدية (٦٦٠هـ)
٩. برد الأكباد عند فقد الأولاد للدمشقي (٨٤٢هـ)

نكون قد حصلنا على زاد وفير في هذا الموضوع؛ أضف إلى ذلك الكتب العامة في المراثي، ومنها مراثي الأولاد، وأشهرها:

١. كتاب التعازي والمراثي للمبرد طبع مجمع اللغة العربية في دمشق عام ١٩٧٦.

٢. كتاب المراثي لليزيدي طبع وزارة الثقافة في دمشق عام ١٩٩١.

الصفة العامة في كتابي (سلوة الحزين) و (برد الأكباد) أنهما كتابان دينيان في الدرجة الأولى، يوردان ما جاء في القرآن الكريم وفي الأحاديث النبوية الشريفة في الصبر والتجلد، ثم يذكران موقف السلف الصالح من الموت، وما ورد في البكاء والنياحة على الموتى ، ولكن حظ كليهما من المراثي نفسها قليل جداً، وكأن المؤلفين يهمهما تسلية الحزين لا إيراد أشعار الآباء المفجوعين والأمهات الثاكلات.

الملاحظات على الكتاب

تنقسم هذه الملاحظات إلى قسمين:

القسم الأول في الأغلاط المطبعية الفاحشة في الكتاب، وقد بلغت حداً شوه الكتاب تشويهاً غير قليل، وأصبحت ذات خطر على الذين يريدون اقتباس الأبيات الواردة في هذا الكتاب.

القسم الثاني في الهفوات التي وقع فيها المحقق، وكان من الممكن أن يتجنبها.

الأخطاء المطبعية:

وأعتذر سلفاً عن عدم إيرادها كلها لكثرتها وسأكتفي بذكر بعضها:

وأولى هذه الأخطاء، الخلط بين همزة الوصل وهمزة القطع مما لا سبيل إلى حصره. ومن هذه الأخطاء:

الصفحة	الخطأ	الصواب
٢٣	والأخ وأخيه	والأخ وأخوه
٢٤	أدخلهما	أدخلهم
٣٩	دفنتي	دفنت
	احتظرتي	احتظرت
	يقيكي	يقيك

وإذا كانت واردة في المخطوط كما وردت في المطبوع فقد كان من الواجب الإشارة إلى ورودها كذلك في المخطوط مع العلم أنها وردت صحيحة في المخطوطة (د).

٥٢	عنك	زائدة في المطبوع
٥٤	رحل	رجل (وردت مرات)
٥٥	يبالغ	يبلغ
٦٦	صعقت	ضعفت
٧٢	القنا	الفناء في بيت المتنبي
٧٢	تناءيا	تناءتا
٧٣	فاطم	فاطماً
٧٥	فبنوا العباس	فبنو العباس
٧٦	مال الليالي	ما لليالي
٧٨	قوله	قبله
٨١	هيا (بالباء المزدوجة)	هبا (بالباء المفردة)
٨١	أما تعلما	ألم تعلما
٨١	مفرداً	مفردّ
٨١	يحيبُ	يجيب

٨١	فداؤها	فداءها
٨٢	الهوى	الهوا وإذا وردت كذلك في

المخطوط فينبغي الإشارة إلى ذلك في الحاشية، والمعنى يتم بالهوا (ء) لا بالهوى.

٨٣	غيا	غما
٨٧	عريقُ	عريقِ
٨٨	الشجيع	الشحيح
٨٨	دلّها	دلُها
٨٨	ويؤتي	ويؤتى
٨٩	تلعد	لعلها (تعد)
٨٩	أرغمهم	أرغبهم
٨٩	ظلماً	ظلماء
٩٠	يهدي	يهذي
٩١	أخدع	أخدعُ
٩١	كفة الحائل	كفة الحابل

في بيت المتنبي (١٩٩:٣)

فذي الدار أخونُ من مومس وأخدع من كفة الحابل

٩١	تفاني	تفانى
٩٢	ويدفن	يدفَن في بيت المتنبي (١٨٣:٣).
٩٥	بتلكم	بتكلم
٩٦	تتباكا	تتباكى
٩٧	فلم يجيبه	فلم يجبه

٩٧	سال	سأل
٩٧	مقالُه	مقاله
٩٧	لا	ألا
٩٨	يعلى	زيادة تحذف
٩٨	بغيه	بغيةٍ
٩٨	ومحالْ	ومحالِ
٩٨	خير	خيراً
١٠٣	توجدنا	لوجدنا (جواب لولا)
١٠٣	نقلو	نقول
١١٥	لتعزي	لتعزّ
١١٨	المعزّي	المعزى[1]
١٢٢	أيكةٌ	أيكةَ
١٢٤	قلتي	قلتِ
١٣٠	يجود	يحور
١٣٨	ونفلت	وتقلت
١٤٠	أخذا	لغدا (أبو تمام: الديوان ٣٨٠) واللام في جواب لو
١٤٠	بعد	بعده

---

(١) في بيتي أبي فراس:

لا بـد مـن فقـد ومن فاقد ... فليس بين الناس من خالدِ

كن المعزى لا المعـزى بـه ... إن كان لا بد من الواحدِ

نكتة طريفة رواها سليم سركيس في كتابه (غرائب المكتومجي) (الرقيب الصحفي التركي) ص٣٦ قال سليم: حذف المكتومجي كلمة خالد من قافية البيت الأول واستبدلها بكلمة (طائر) فقلت: لماذا فعلت ذلك، قال اسم والي بيروت (خالد)... ولا يجوز ايراد اسم الوالي في سبيل الحزن والتعزية...

١٤٠	تحتُها	تحتَها
١٤١	ذوئب	ذؤيب
١٤٢	عظاة	عِظات
١٤٦	أُربى	أربى
١٤٧	الساقيات	(بالقاف) السافيات (بالفاء)
١٤٨	تباين	تأبين
١٤٩	إذ	إذا

وأكتفي بهذا القدر المخيف من الأخطاء المطبعية.

هفوات التحقيق:

الصفحة

٥٤ أقول سوى أقول شوى وفي اللسان الشوى: الهين من الأمر، وبه يتم معنى البيت، ولعلها خطيئة مطبعية

٧٢ أورد المحقق بيت الأعمى التطيلي على هذا الشكل

خَذا حدّثاني عنْ فُلانٍ وفلان لَعلّي أرى باقٍ على الحَدَثان

والشطر الأول من البيت مكسور

والرواية الصحيحة

خُذا حدّثاني عنْ فُلٍ وفُلانٍ (ديوان الأعمى ٢٢٤-٢٣١)

وبذلك يستقيم الشطر. جاء في لسان العرب (مادة فلل):

ومن خفيف هذا الباب فل: في قولهم للرجل يا فل

...

قال أبو النجم

في لجة أمسك فلاناً عن فل

٧٨ بيت عدي بن زيد أورده المحقق على هذا الشكل:

فألوت بعد (الصبا) والدبور

والشطر مكسور والرواية الصحيحة

فألوت به الصبا والدبور

٨٠ بيت قس بن ساعدة الإيادي، أورده المحقق على هذا الشكل:

لمّا رأيتُ مواراً للمــو تِ ليسَ لها مَصادِر

وصحته

لمّا رأيتُ مواراً للموتِ ليسَ لَها مصادر

٩٠ وردت كلمة يابة في البيت:

تمر وتمضي يابة بعد يابة بالياء

وهي بالباء (يابة بعد يابة)

جاء في القاموس المحيط مادة (اليوباة):

والباب والبابة في الحساب والحدود الغاية...

وهذا بابته أي شرطه

٩٦ أورد المحقق بيت ابن نباتة

أمعهد سعدى بالعذيب سقاكما مليتَ الحيا حتّى يَبُل صداكما

وليس لـــ (مليت) معنى وهو ملث أي مطر دائم جاء في لسان العرب مادة لثث: وألثَّ المطر إلثاثاً أي دام أياماً لا يقلع...

٩٦ وأورد البيت الثاني لابن نباتة:

صدى كلما أشكو حجاباً كأنما خلقنا على أطلاله تتباكا

وليس لهذا البيت على هذا الشكل معنى وصحته (الديوان ٣٦٣)

صدى كلما أدعو أجاب كأننا خلقنا على أطلالها نتشاكى

وقد استدرك المحقق فقال في الحاشية: (مع اختلاف في بعض الكلمات) والاستدراك جيد لو كان للبيت كما ورد معنى.

٩٧ ورد بيت ابن النقيب

فيسمع من ذا ناطق وهو صامت ويبصر من ذا (حاضراً) وهو غائب

فلماذا جاء (ناطق) مكسوراً وجاء (حاضراً) منصوباً؟ وحق البيت أن يكون:

فيسمع من ذا ناطقاً وهو صامت ويبصر من ذا حاضراً وهو غائب

هذا ولم أجد البيتين في ديوان ابن النقيب طبع المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٩٦٣، والمعنى أن الإنسان يسمع الصدى ناطقاً، وهو صامت، ويبصر الخيال حاضراً، وصاحبه غائب.

٩٨ بيت الحمّامي الثاني ورد كما يأتي:

قد سمعت الصدا وهو جماد كل شيءٍ تقول ردٌ عليكا

والشطر الأول مكسور وحقه مد المقصور، وهو جائز للشاعر، فيكون الشطر:

قد سمعت الصداء وهو جماد

١٠٧ ورد بيتا البغدادي:

رأوا صبري وصمتي فاسترابوا وقالوا: ملَّ أو كَلَّ اللسان

فقلت لهم إذا نارٌ تلظّت وشبَّ وقودها زاد الدخانُ

وكلمة (زاد) في الشطر الثاني من البيت الثاني تخالف ما يقصده الشاعر، وما ورد في أول الفصل: قال العتبي عن إبراهيم: لا يكون البكاء إلا من فضل، فإذا اشتد الحزن ذهب البكاء. إذا فحق زاد أن تكون (زال) ليصح المعنى.

١١٨ وردت هذه الكلمة على هذا الشكل

... فإنه لم يغب عنك غيبةَ (خيراً) لك فيها أجراً أعظم من هذه.

وهذا الكلمة مضطربة اضطراباً خطيراً وحقها أن تكون على هذا الشكل (فإنه لم يغب عنك غيبة لك فيها أجر أعظم من هذه)

١٣٠ ورد هذا البيت:

وما المرءُ إلا كالشّهاب وضوئه يجود رماداً بعد إذ هو ساطِعُ

أما (يجود) فخطأ مطبعي والصحيح (يحور) وقد أوردناه في الأخطاء المطبعية ولكن المهم أن المحقق نسب البيت في الحاشية رقم ٥٤ فقال: البيت للنابغة الجعدي انظر الديوان ص٨٨. والبيت ليس للنابغة الجعدي وليس في ديوانه وإنما هو حصراً للبيد بن أبي ربيعة في ديوانه ص٨١ من قصيدته المشهورة:

بلينا وما تبلى النجوم الطوالعُ وتبقى الديار بعدنا والمصانعُ

١٤٢ ورد البيت

بأبي وأمي من (عباب) حنوطه بيدي وفارقني بماء شبابه

وأظن (عباب) من الكلمات التي ندت على المحقق كما ذكر في مقدمته والكلمة هي (عبأتُ)، وعبأ كعبّأ: هيأ وجهز.

وأغلب الظن أن البيتين لأبي عكرشة الضبي.

تلك هي ملاحظاتي على التحقيق، وأقول لإنصاف المحقق أن بعض هذه الملاحظات ربما كانت عائدة إلى الأخطاء المطبعية لا إلى هفوات التحقيق.

الخلاصة:

أرحب بالأخ الدكتور مخيمر صالح في جيش محققي التراث الصابرين، وأرجو أن ينجو تحقيقه من الأخطاء المطبعية أولاً ومن هفوات التحقيق ثانياً.